حركات الرفض والاحتجاج عند البدو
فى عهد محمد على وخلفائه

بكر يحيى محمد سليمان[1]

تمهيـــــد:

إن دراســة البداوة العربية على جانب كبير من الأهمية، لأن البدو يكونون قطاعا غير هــين فــى المجتمع العربى، وأن هذه الدراســة تضيف إلى معارفنا ذخــيرة ثمينة حية إلى ما نعرفه عن التغير الاجتماعى والحضارى[2].

فلقد كان ارتباط البدوى بشيخ القبيلة الذى كان يعامل أفراد قبيلته معاملة القرناء، دون التعالى على أحد منهم، أدى ذلك إلى عدم اعترافهم بســلطة فوق ســلطته، أما سلطة الدولة فليست لها فى نظره قيمة أخلاقية، وبالتالى فالخروج عليها لا يعد خرقا لكيانها[3].

فشــيخ القبيلة هو المصدر الأساســى لكل الســلطات التى لا تســتمد قوتها الإلزامية من القوانين المدونة، وإنما من التصورات الجماعية والمشاعر والأحاسيس ومن العصبية المتغلغلة الجذور فى حياتهم اليومية[4].

والجماعات البدوية تكون لنفســها ســلطة دفاع للمقاومة كما تكون نظما تســير عليها وترجع إلى شيوخها وعقلائها فى كل ما يعن لها، وتقبل إرشاد الشيوخ الذين كان لهم فى النفوس وقار وتجله، كما أنهم لم يعترفوا بأية سلطة فوقهم غير سلطة شيوخهم[5].

---

(١) دكتوراه فى التاريخ الحديث والمعاصر – كلية الآداب – جامعة القاهرة.

(٢) ســهير عبد العزيز محمد يوســف: الاســتمرار والتغير فى البادية العربية (دراســة ميدانية فى علم الاجتماع البدوى)، ط ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩١م، ص١٥.

(٣) إيمان عبد المنعم عامر: العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاســع عشــر، تاريخ المصريين، العدد ٩٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ص ١٢٢.

(٤) حســن يوســف نصار: قبائل البدو فى مصر (١٨٤٨ – ١٩٥٢م)، رســالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٨م، ص ٨.

(٥) عبد القادر الصبان: لمحة من حياة البدو، مؤسسة الطباعة والنشر بعدن، ١٩٧٨م، ص ص١٣، ١٥.

ومــع أن المجتمع البــدوى لا يكاد يعترف بالفرد إلا أنه يخضعــه للعائلة أو للبطن أو للفصيلة، نجد أن البدوى لا يجد فى ذلك حجرا على حريته، ولكنه يثور على أى عدوان يصدر من جماعة خارجة مثل قبيلة أخرى أو مثل الدولة[١].

ولقد كانت نظرة البدوى إلى الصحراء على أنها وطنه الاجتماعى الذى لا يستطيع أحد أن يهاجمــه فيه. كمــا يعدها المصدر الأول والوحيد لحياته، فهــو لم يعرف دولة يخضع لسلطاتها ويعترف بقوانينها وتنظيماتها، كما لم يحاول عن طريق إنشاء تحالف بين القبائل البدوية إقامة شكل من أشكال الدولة تكون لها السيادة العليا[٢].

ويعتــبر اعتزاز البدو بحريتهم وتبرمهم بالقيود والروابط الصارمة التى تفرضها شــرائع الدولــة من بين الأســباب التى تؤدى إلى اختــلال الأمن، ولذا ظلوا لبنــات قلقة فى بناء المجتمع الريفى[٣].

كمــا كان لطبيعة المكان أيضــا أثره فى حركات التمرد، فلقد ســاعدت طبيعة الصعيد المحافظــة، وحدوده الطبيعيــة المغلقة التى تخالف طبيعة الوجه البحرى المفتوحة، والتى ساعدت عربانه على استمرار تمردهم ضد السلطات الحاكمة، وفرارهم إلى الصحراء الغربية، أو إلى سيناء أو غزة، مثلما كان يفعل دائما «أولاد بقر» بالشرقية وعرب البحيرة الذين كانوا يهربون إلى برقة ومنها إلى بلاد المغرب[٤].

ولقــد بلــغ العربان أقصى درجة من القوة وشــدة البأس فى بداية القرن التاســع عشــر، وســاعدهم على ذلك حالة الفوضى التى سادت فى الفترة ما بين جلاء الحملة الفرنسية وتولى محمد على الحكم عام ١٨٠٥م، فكانوا يخربون القرى ويفرضون الإتاوات على سكان البلاد[٥].

كمــا نجــد أن القبائل ظلت فى مرحلة البداوة وعدم الاســتقرار، كانوا دائما مصدر قلق وإزعاج لسلطة الدولة فى عهد محمد على وعهود خلفائه[٦].

ويوضح البحث محاولة محمد على وخلفائه فى كسر شوكتهم وإدماجهم داخل المجتمع.

---

(١) حسن نصار: المرجع السابق، ص ١٩.

(٢) إيمان عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٢١.

(٣) حسن نصار: المرجع السابق، ص ٣٦١.

(٤) ليلى عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٢٨.

(٥) إيمان عبد المنعم: المرجع السابق، ص ٨.

(٦) وائل بيومى: مديرية الشرقية فى القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٩٨م، ص ٧٦.

مقدمة:

لقد كان العربان فى مصر منذ عهود قديمة عنصرا مقلقا للحكومة والإدارة، وقد استطاعوا – سواء كانوا شبه مستقرين أو رحلا بميولهم الحربية – عرقلة مهمة الحكام، فى التصدى لأعمالهم التخريبية[1].

ومن أشهر هذه التمردات ما حدث فى العصر المملوكى، تلك الثورة العارمة فى عام ٦٥١ هـ/ ١٢٥٣م. وقد اشترك فيها عرب الصعيد والوجه البحرى بقيادة الشريف حصن الدين ثعلب بناحية دهروط – ديروط الحالية أحد مراكز أسيوط – واستخدم المماليك أقسى وسائل القمع والشدة فى إخمادها، كما قبض على زعيم التمرد وسجن بالإسكندرية.

كذلك نجد ثورة عرب الصعيد عام ٧٠٧ هـ/ ١٣٠١م فى مدينتى منفلوط وأسيوط وأخمدت مثل سابقتها[2].

أما بالنسبة لحال العربان تحت الحكم العثمانى، فقد كان امتدادا لما كان يحدث فى العصر المملوكى، فعلى الرغم من استمالة السلطات العثمانية للعربان إلى جانبها بالطرق الودية، اتقاء لشرهم وتفاديا لتمرداتهم، فإن الموقف العدائى تجاه السلطات الحاكمة، كان قد تأصل فى نفوس هؤلاء العربان، ففى بداية الحكم العثمانى أعلن عبد الدايم بن بقر شيخ عربان الشرقية فى عام (٩٢٨هـ/ ١٥١٨م) تمرده على السلطة وامتناعه عن دفع الخراج[3].

وقد استمرت تلك الثورات والتمردات طول العصر العثمانى، وكان من أشهرها تمرد عربان أولاد وافى المغاربة بقيادة شيخهم ابن وافى عام ١١٠١هـ/ ١٦٨٩م، وقام أحمد باشا والى مصر آنذاك بتجريد حملتين على رأس كل منها صنجق، إحداهما إلى البحيرة فى الدلتا، والأخرى إلى البهنسا بالصعيد لمحاربتهم، وعلى الرغم مما بذلته هاتان الحملتان من جهود لكسر شوكة هؤلاء العربان، إلا أنهما لم تستطيعا تحقيق الهدف المرجو منهما[4].

---

(١) ليلى عبد اللطيف: سياسة محمد على إزاء العربان فى مصر، ط ١، دار الكتاب الجامعى، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٤٥.

(٢) إبراهيم العدل المرسى: حركة عمر المصرى فى عهد سعيد، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد ٢٧، ٢٠٠٠م، ص ٣٧١.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: الريف المصرى فى القرن الثامن عشر، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٨٠.

(٤) إبراهيم العدل المرسى: المرجع السابق، ص ٣٧١ – ٣٧٢.

أمـا فى عهـد محمد على فلم يعتمد علـى القوة وحدها من أجل اسـتقرار هؤلاء البدو وتحقيـق الأمـن الداخلى، إذ كان لابد من مغريات حتى يتخلى البدو عن عاداتهم، وذلك بمنحهم مساحات من الأرض فى المناطق التى استقروا فيها[1].

هـذا وقـد حاول خلفاء محمد على اتباع سياسـته لجذب البدو لمنـع تمرداتهم، ولكن بتولى سعيد باشا حكم البلاد، نجد أن العلاقة بين البدو والسلطة قد اتخذت نمطا عنيفا، وشهدت البلاد تمردات خطيرة ومن أشهرها حركة عمر المصرى (١٨٥٤م – ١٨٥٨م)[2].

وعلـى هذا فقد أثمرت جهـود محمد على وخلفائه من بعده ثمارها فى اسـتقرار البدو وانصهارهم فى جسـم المجتمع وتحولوا فى نهاية القرن التاسع عشر من مرحلة البداوة إلى مرحلة التوطن والتمدن[3].

أولا - فى عهد محمد على:

لقد بلغ العربان فى بداية عهد محمد على حدا كبيرا من الجبروت والبأس، حتى إنهم كانوا يفرضون الإتاوات على الأهالى ويهددون بالزحف على القاهرة نفسـها[4]. وهناك عدة ملاحظات على القبائل المتمردة وهى:

– أن معظمها ينتمى إلى قبيلة بنى سليم الوافدة من غرب إفريقيا من برقة وطرابلس من أبنـاء برغوث، وهم الجبارنة ومنهم (الجوازى أولاد أبى جازية)، والفوايد ومنهم (أسـرة لملوم)، والرماح ومنهم (أسرة الباسل).

– أنها كانت دائمة التمرد، حيث كانت وافدة من أقاليم صحراوية اتصف أهلها بالخشونة.

– أن العربان كما يذكر البعض، كانوا يشـبهون الجند العصاة ورؤسـاءهم المتمردين من حيث ميلهم إلى السلب والنهب[5].

---

(١) علـى بـركات: تطور الملكية الزراعية فى مصر وأثره على الحركة السياسـية (١٨١٣م – ١٩١٤م)، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٢٦١.

(٢) إبراهيم العدل المرسى: المرجع السابق، ص ٣٧٦، ٣٧٨.

(٣) على شلبى: الريف المصرى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر (١٨٤٧م – ١٨٩١م)، ط ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٢٦٤.

(٤) ليلى عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٥٠.

(٥) إبراهيم العدل المرسى: المرجع السابق، ص ص ٤٠١، ٤٠٣.

وترجع أسباب الرفض والاحتجاج إلى عدة أسباب، منها سياسات الحكومة فى أنواعها العديدة للخدمة العسكرية والسخرة والضريبة الجديدة والفردة التى فرضت سنة ١٨٢٢م، وزيادة ضريبة الأرض التى ارتفعت إلى ٢٢٪، وكذلك حدوث الكوارث الطبيعية فى هذه السنوات، حيث أغرق النيل الحقول سنة ١٨٢٠م ودمر المحاصيل، وهذا أيضا بشر بظهور وباء الكوليرا الأول الذى كان مقلقا بصفة خاصة، كما حدث تمرد فى إقليم منوف عام ١٨٢٣م، والسبب فى هذا التمرد هو الابتزاز الشديد من وكلاء محمد على باشا وأيضا من الخدمة العسكرية الإلزامية[١].

ويتضح أن روح التمرد هذه كانت عند العربان على كل سلطة عدا سلطة شيخ القبيلة عندهم، وذلك يتضح من خلال قول أحد العربان أمام قاضى إقليم المنوفية عام ١٨٤٨م بقوله: «إننى أعترض على المجلس الشرعى للإقليم، وأن شرع الله عند غيركم»، ويقصد بذلك أن ولاءه لشيخ القبيلة[٢].

وكان من أسباب هذا الرفض والاحتجاج فى عهد محمد على هو اعتراض العربان على قرارات الحكومة. ومثال على ذلك، عندما رأى الأهالى أن أراضى العربان من أجود الأراضى ولا يدفعون ضرائبها، فطالبوا بزراعتها ووافقت السلطة على ذلك مقابل ثمانية ريالات عن كل فدان، إلا أن العربان قاموا بطرد الفلاحين من هذه الأراضى بالقوة وهذا يوضح لنا قوة العربان فى هذه الفترة[٣].

كما كان العربان يهددون بالرحيل من الأراضى التى يزرعونها إذا ما فرضت عليهم ضريبة زائدة على ما يدفعونه[٤].

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إنهم امتنعوا عن دفع الضرائب، وصدرت الأوامر فى عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م باسترداد بعض الأطيان التى منحتها لهم الحكومة، وذلك لكى يخضعوا لأوامر وقرارات الحكومة[٥].

---

(١) Lutfi al – sayyid – Afaf, Egypt in The reign of Mohammad Ali, Cambridge univeresty, press, p.

(٢) حلمى أحمد شلبى: المجتمع الريفى فى عصر محمد على، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص ٢٩ – ٣٠.

(٣) وائل بيومى: المرجع السابق، ص ٨٠.

(٤) إيمان عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٣٥.

(٥) وائل بيومى: المرجع السابق، ص ٨٣.

ومن الأشـياء التى تدل على مخالفة العربان لتعليمات الحكومة، أنهم كانوا يشـاركون الفلاحـين فى زراعة الأراضى المنوحـة لهم، مما أدى إلى صدور الأوامر بزراعة أراضيهم، ولكن العربان اسـتمروا فى مشاركة الفلاحين وتأجير أراضيهم، مما يدل على تعاليهم على العمل اليدوى[1].

كمـا يتضح عدم تقبل العربان لعملية التجنيـد والالتحاق بالجهادية؛ فعندما طلب من الشـيخ أبى بكر حميدة شـيخ عربان أولاد على إعداد عدد من الفرسـان، فر بعض أفراد القبيلـة إلى الغرب لرفضهم الانضمام للجهادية، على الرغم مما كان يدفع لهم من مرتبات مقابل ذلك[2].

وغالبـا مـا كان التمرد والهروب يحدث دائما من عربان الغرب أو المغاربة وهؤلاء كانوا دائما من العربان المثيرين للشغب والميالين للتجوال الدائم وسلب ونهب القرى والضواحى[3].

كذلك عندما اسـتخدمت السخرة فى حفر الترع وإقامة الجسور ومد السكك الحديدية، تـرك الكثير من العربان أماكن إقامتهم وهربوا إلى جهات أخرى، وذلك لكونهم يأنفون من أداء مثل هذه الأعمال[4].

وعلى الرغم من ذلك كانت هناك اسـتجابة من بعض الشـخصيات البارزة من عربان الصعيـد لسياسـة محمد على مثل إسماعيل بن نصير مـن أولاد الهلة وكان من المتعاونين مع السلطة. ومن أجل استقرار هؤلاء العربان كان محمد على يعقد معهم الاتفاقيات، وفى حالة نقضهم لهذه الاتفاقيات كان يسـتخدم معهم القوة العسكرية ويأخذ زعماءهم كرهائن عنـده بالقاهرة وذلك لكى يضمـن طاعتهم وولاء قبائلهـم، وكان يخصص لهؤلاء الزعماء رواتـب وأرزاقا خاصة بهم، وكان لهذه الوسـيلة تأثير كبير فـى التزام الكثير من القبائل الهدوء والطاعة[5].

وليـس معنـى ذلك أن جميـع العربان فى خدمة الحكومة، بـل كان منهم من يحدث الضـرر فى القرى ولذلك صدرت الأوامر إلى مأمورى المديريات بعدم انتقال أحد من العربان

(١) إيمان عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٢) نفسه، ص ٢١١، ٢١٤.

(٣) ليلى عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٧٤.

(٤) إيمان عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٩٧.

(٥) إيمان عبد المنعم: المرجع السابق، ص ٩٧، ١٢٥.

من مديرية إلى مديرية أخرى إلا بتذاكر ممهورة من شيخ القبيلة، وعلى المديريات الأخرى أن تطردهم فى حالة عدم وجود هذه التذاكر معهم[١].

ونتيجة لامتناع العربان عن دفع الضرائب المقررة على الأرض الزراعية، لجأت السلطات فى بعض الأحيان إلى سجن بعضهم، بالإضافة إلى منعهم من القيام بأعمال الزراعة[٢].

كما يتضح لنا مدى اهتمام محمد على بتأديب العصاة من العربان من خلال صدور أوامر إلى عباس باشا الأول عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٥م، وذلك بأمره بالسفر لبر الشام لإبادة عربان نابلس العصاة هناك[٣].

ومن ضمن العقوبات التى وقعت على العربان طردهم من النواحى التى يثيرون فيها الفساد والتخريب، ونقلهم بالقوة إذا أبدوا اعتراضهم على ذلك. أما بالنسبة للعربان القادمين من مناطق أخرى فيتم نقلهم إلى أماكن إقامتهم السابقة، كذلك كان يتم مصادرة مواشى وأغنام العربان العصاة وكذلك أغنام العربان التى تتخطى مراعى السلطات[٤].

وفى أحيان كثيرة استخدم محمد على القوة العسكرية فى ذلك لإرغام العربان على تقديم المطلوب منهم للدولة[٥]. كما احتفظ محمد على برهائن من العربان فى العاصمة، وجرد كتائب على بعض شيوخهم وأعدموا[٦].

وفى أحيان كثيرة كان يتعهد شيوخ العربان للحكومة بتأديب العصاة من قبائلهم، ويطلبون بعض الجنود من الحكومة لمساعدتهم فى ذلك، مثلما حدث عندما اتبع بعض عربان العبادى القاطنين بالجبل العصيان والبغى واتبعوا عربان البشارة لم يرض شيوخهم عن ذلك، وطلبوا من محمد على إمدادهم بقوات لتأديب هؤلاء العصاة وقد أجابهم محمد على إلى ذلك[٧].

كما حذر محمد على مشايخ العربان بتدميرهم إذا لم يوفوا بوعودهم وتسليم العربان الأشقياء، فعندما حدث صدام بين سلطات محمد على وقبيلة أولاد على، وكان من

(١) وائل بيومى: المرجع السابق، ص ٨٠ – ٨١.

(٢) إيمان عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٣) أمين سامى: تقويم النيل، جـ ٢، طـ ٢، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٤٢٣.

(٤) إيمان عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٥) ليلى عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٥٣.

(٦) إبراهيم العدل المرسى: المرجع السابق، ص ٣٧٥.

(٧) ليلى عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٥٢ – ٥٣.

نتيجة هـذا الصدام مقتل بعض الجنود عـام ١٨٤٦م، صدر أمر من الكتخدا (نائب الوالى) إلى عبد الله المقرجى شيخ مشايخ عربان أولاد على عام ١٨٤٦م بالقبض على هؤلاء الأشقياء بواسـطة مشـايخهم، وأن يقدم هؤلاء المشـايخ أولادهم كرهائن إلى ناظر العربان، ولكنهم لم يوفـوا بما وعدوا به ولذلك حذرهم الكتخدا باتخاذ إجـراءات صارمة ضدهم. ومن ذلك يتضح لنا اتباع محمد على لأسلوب الترغيب بجانب أسلوب الترهيب[١].

كما أمر محمد على بتحصيل المبالغ التى صرفت لشـيوخ العربان المقصرين فى كسـر العربان الأشـقياء، وذلك لإهمالهم فى مواجهة هؤلاء العربان الأشقياء، وحدث ذلك عندما صدرت مثل هذه الأوامر إلى مدير الشرقية ومدير الدقهلية ودمياط وشربين عام ١٨٣٤م[٢].

ولم يكن أسلوب القوة هو الأسلوب الوحيد الذى اتبعه محمد على لتوطين العربان، وإنما كان الأسـلوب الأكثر فاعلية فى استقرارهم عن طريق منحهم أرضا زراعية، لكى تساعدهم على الاسـتقرار، مثـل قبائل الهنادى والفوايـد، وقد تم نقل قبيلة الهنـادى إلى مديرية الشرقية واستقروا بها بمعرفة محمد على[٣].

وتذكـر بعض المصـادر أن محمد على لم يمنح العربان أى سـند قانونى وإنما وعدهم بأنهم سيعفون من السخرة والخدمة العسكرية فى حالة زراعتهم واستقرارهم فى الأراضى التى معهم[٤].

وهكـذا يتضـح لنا أن العربان كانـوا دائما عنصر اضطراب للأمـن، ولكن محمد على اسـتطاع ترويضهم إلى حد كبير وتمكن من تنمية الجوانب الإيجابية فيهم على حسـاب الجوانب السلبية[٥].

وعندما أخذ محمد على بعض زعماء العربان إلى القاهرة، كان لهذه الوسيلة تأثير كبير فى إخلاد القبائل للهدوء، وكانت سياسـة منحهم رهائـن عنده يضمن بهم طاعتهم وولاء قبائلهـم، كما أجرى عليهم الرواتب والأرزاق ومنحهـم الأراضى، كانت من العوامل التى

(١) على شلبى: المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٢) دار الوثائـق القوميـة: أدراج الدار، درج رقـم ٢٧٦، وثيقة رقم ٣٧، دفتر بدون نمرة، أمر كريم عام إلى مديرية الشرقية ومدير الدقهلية ودمياط وشربين، ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م، ص ٤٩.

(٣) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٧٠.

(٤) إيمان عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٥) نفسه، ص ١١١.

ساعدت على توطينهم، كذلك استخدامهم فى الجيش ومشاركتهم فى الحروب المختلفة فى الحجاز والسودان وسوريا وغيرها من الحروب[1]. وكذلك كان من العوامل التى ساعدت على توطينهم وإبعادهم عن أعمال التمرد والعصيان .

ثانيا - البدو فى عهد عباس باشا الأول:

واصل خلفاء محمد على نفس السياسة التى اتبعها لتوطين البدو وإن كانت العلاقة بينهم وبين سلطات الدولة قد اتخذت نمطا عنيفا فى بعض الفترات، واستمر خلفاؤه فى منحهم الأراضى من أجل توطينهم واستقرارهم، واستعمال القوة معهم إذا رفعوا راية التمرد والعصيان وهددوا أمن البلاد[2].

وكان عباس باشا يحب عربان الهنادى ويفضل المكوث عندهم، ويقال إنه تزوج من إحدى بناتهم وكانت غاية فى الجمال. ويبدو أن تودد عباس باشا إليهم هو الذى دفعهم إلى التمرد والعصيان، كما فرض العربان على الزروع المغارم والكلف الفادحة من مال وغلال، وفى حالة تعذر جمعها كانوا يفسدون فى البلاد ويهلكون الحرث والنسل[3].

كما استمر البدو فى إثارة جيرانهم من الفلاحين غير مبالين بسلطات الدولة، فأصدر عباس أمرا إلى كل المديرين وإلزام المديرين بضرورة منع ذلك والقبض على الأشقياء والمنحرفين منهم، وعقابهم بأقصى عقوبة، وذلك حفظا للأمن بالبلاد، كما هدد المديرين بعقابهم إذا قصروا فى ذلك، وعلى الرغم من ذلك استمر البدو فى استخدام أعمال العنف مع الفلاحين، واستبدلوا أراضيهم بأراضى الفلاحين الأكثر جودة، فعلى سبيل المثال تقدم أهالى ومشايخ كفر الحيوان ونصف سوادة بمديرية الشرقية بشكوى إلى المعية متظلمين من استيلاء عامر الطحاوى شيخ عربان الهنادى على أطيانهم وأشجارهم ونخيلهم وادعائه بأن ذلك من ضمن الأبعادية التى أنعم بها عليه[4].

ومع كثرة اعتداء العربان على الفلاحين وارتكابهم أعمال التخريب والنهب واختلال الأمن بالبلاد، وكذلك إيواؤهم المشبوهين والمجرمين، فكر عباس فى أن يحدث تغييرا فى

(١) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٧٣.
(٢) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٧٤.
(٣) وائل بيومى: المرجع السابق، ص ٨٤.
(٤) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٧٦.

مشـــايخ القبائل، فعزل بعضهم وعين بدلا منهم ممـــن كان يرى أنهم أكثر ولاء وطاعة أملا فى توطينهم وخلود قبائلهم للهدوء[١].

وعندما رأى عباس باشا الأول ارتكاب البدو للعديد من المخالفات، أصدر أمرا إلى جميع شيوخ العرب وحذرهم فيه من ارتكاب الجرائم فى ٢٩ ربيع الأول ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م تعميم للمديريات جاء فيه:

«عنـــد وصولى إلى الإســـكندرية ومصر هـــذه المرة سمعت وعلمـــت أن قبائل العربان انحرفـــوا عن الطريق المســـتقيم وابتدأوا يعتـــدون وينهبون ويســـرقون كل ما تصل إليه أيديهم، فمثل هذه الأمور المخالفة لرضاى يجب أن تســـتأصل ويضبط فاعلوها ويجازوا أشد الجزاء، ويعلن إجرامهم للملأ ليفتضح أمرهم لأن إزالة وجود هؤلاء الأشقياء ضرورية لتقرير الأمن والسلام»[٢].

كما هددت الســـلطات فى عهد عباس باشـــا الأول مشايخ العربان الذين يرفضون إرسال الأشخاص المطلوبين من شياختهم للعمل فى بعض الأعمال العامة وتوعدهم بالعقاب الشديد إذا لم ينفذوا أوامرها.

فعلى سبيل المثال قامت السلطات بتهديد الشيخ سليمان الطحاوى من مشايخ الهنادى بالشرقية عندما امتنع عن إرسال ٩٠ شخصا حصته فى العمل فى عمارة الدار البيضاء[٣](*). ولذلك قامت السلطات بتهديده إذا لم ينفذ أوامرها[٤].

---

(١) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٧٦ – ٢٧٧.

(٢) أمين ســـامى: تقويم النيل وعصر عباس حلمى باشـــا الأول ومحمد سعيد باشا، المجلد الأول من الجزء الثالث، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، ص ١٧.

(٣) (*) الـــدار البيضـــاء: وردت فى الخطط التوفيقية بأنها المحطة الثانيـــة من طريق الحاج بعد ناحية البركة فى الصحراء الشـــرقية واقعة على ســـكة حديد السويس وعلى بعد (٥٦) كيلو مترا شرق القاهرة، وكانت تسمى الدار الحمراء فأنشـــأ بها عباس الأول قصرًا للنزهة والرياضة الخلوية وسماها الدار البيضاء أو الدار الخضراء وليس بها ماء ولا نبات، وبالبحث عن مكان هذه الدار تبين لى أنها واقعة على الطريق المعبد المخصص للسيارات بين مصر الجديدة والسويس تجاه أطلال بســـطة الدار البيضاء والمعروفة بالمحطة نمرة (٨) الواقعة شـــرق مدينة مصر الجديدة على بعد ٥٣ كيلو مترا وفى شمال المحطة المذكورة على بعد ٣٥٠٠ متر توجد أطلال الدار البيضاء وقصر عباس فى وسط الصحراء.

محمد رمزى: القاموس الجغرافى للبلاد المصرية (من عهد قدماء المصريين إلى ســـنة ١٩٤٥م)، القســـم الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ص ٥٨.

(٤) وائل بيومى: المرجع السابق، ص ٨٥.

«شـرح صورته أنه لما تبين من إفادة حضرتكم السابق ورودها، أن شيخ مشايخ الهنادى متوقف فى إعطاء التسعين نفرًا المطلوبة من عهدته لأشغال عمارة الدار البيضاء، وقد حررنا لحضرة ألفى بك بما لزم عن ذلك»[1].

ويبـدو أن قبيلة الطحاوية كانت من المعارضين لقـرارات الحكومة، ويتضح ذلك أيضا من خلال تأخير سـليمان الطحاوى فى سـداد تقسيط الأموال المقررة عليه وعلى أخيه عامر الطحاوى بمديرية الشرقية، وأن هذا التقسيط متأخر حتى القسط الثالث، وقد هددهم عباس باشا بنزع هذه الأطيان منهم فى حالة عدم السداد[2].

ولم يكن اسـتبدال الأراضى هو كل معاناة الفلاحين من العربان، ولكنهم غالبا ما كانوا يرفضـون دفع الضرائب أو يجبرون الفلاحين على تحمل قسـط أكـبر منها، وعندما يقل المحصول بأراضيهم كانوا يغتصبون قوت الفلاحين. وكان الفلاحون لا يعترضون على ذلك لأن البدو كانوا دائما يحملون السلاح، فكان الفلاحون يخافون الاصطدام بهم.

وعلى الرغم من كل الوسائل التى اتخذها عباس للوصول بالبدو إلى الاستقرار والهدوء، فـإن الأوضاع والعادات التى ألفها البدو لم تكن تنمحى من عقولهم بسـهولة، واسـتمرت عملية توطينهم تتأرجح بين المد والجزر، وربما كان سعيد أحد فترات الجزر التى شهدتها عملية التوطين[3].

ثالثا - فى عهد سعيد باشا:

لم يكد سـعيد باشـا يتولى عرش البلاد فى عام ١٨٥٤م حتى واجهته مشـكلة الأعراب الذين راحوا يتحينون الفرص للخلاص من قيود الأوامر وأغلال السـلطة التى بدأها محمد على من أجل الزج بالعربان بين طبقات المجتمع[4].

ففى عهد سـعيد اختل الأمن اختلالا عظيما نتيجة لتمادى العربان فى الغزو والسـلب والنهـب وإعلانهم التمرد والعصيان، وحذرهم سـعيد من ذلك، فأمر مدير المنيا وبنى مزار

(١) دار الوثائق القومية: معية سنية عربى س/ ١/ ٨/ ١٤، صادر المعية السنية للدواوين والأقاليم والمحافظات، رقم السجل القديم ٦٢، جـ ٣، وثيقة رقم ١٧٨ بتاريخ ١٥ شعبان ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م، ص ٤٦١.

(٢) وائل بيومى: المرجع السابق، ص ٨٥.

(٣) على شلبى: المرجع السابق: ص ٢٧٦ – ٢٧٧.

(٤) حسن نصار: المرجع السابق، ص ٣٧١.

عام ١٨٥٤م بإنذار مشـايخ قبائل العربان الموجودين بمديريته. إلا أن إنذار سـعيد لم يؤد الهدف المرجو منه، بل إن العلاقة بين البدو والسـلطة قد اتخذت نمطا عنيفا، وشـهدت البلاد تمردات خطيرة وبخاصة فى الوجه القبلى، لعل من أشهرها حركة عمر المصرى[١](*) ١٨٥٤م – ١٨٥٨م[٢].

وعمل سـعيد باشـا على سـد المنافذ والطرق عليهم من خلال إصدار أوامره إلى المديرين بذلك؛ ففى عام ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م أصدر أوامره إلى مدير كردفان بذلك:

«إن عربـان الجوازى والعمائم وطرحونة وخلافهـم الذين كانوا متوطنين بجهات قبلى قد غلبت عليهم الشقاوة واتبعوا طريق البغى والفساد واقتضت الإرادة العلية إعدامهم بالكلية، وقد حضرنا بمقتضى الأمر العالى لترتيب العساكر مع ما يلزم لسد الطرق عليهم وقطع أثرهم»[٣].

كما أمر سـعيد باشـا مفتـش الوجه القبلى بالاسـتيلاء على جمالهـم وخيولهم كى لا يستطيعوا الفرار مثل غيرهم[٤].

وترجع أسباب التمرد فى عهد سعيد إلى الآتى:

– سـبب اقتصادى خاص بطلب سعيد من العربان بضرورة دفع الضرائب والأموال عن الأرض التى يزرعونها.

– محاولة سعيد الاستقرار فى عملية توطين قبائل العربان وإصراره على عمل تذاكر لكل شخص منهم لمعرفة تنقلاته.

– تعدى سعيد على امتيازاتهم وبخاصة الإعفاء من التجنيد.

– جمع السـلاح منهم وذلك لأنهم كانوا يستخدمونه فى ارتكاب جرائمهم، ومحاولاته التدخل فى تنظيم شئونهم.

---

(١) (*) بالنسبة لعمر المصرى، فقد كان شيخ عرب الجوازى وكانت كلمته مسموعة بين أبناء قبيلته، ويتمتع بنفوذ كبير، وقد منحه عباس باشـا ١٠٠٠ فدان من أبعادية بنى سموح وههيا وعزبة القمادير بالمنيا، وقد قاد من قبل حركة تمرد ونفى إلى السـودان، حيث أرسـل به سـابقا إلى فاز أوغلى وقد أفرج عنه بأمر سعيد باشا، وعلى ما يبدو فإن كلمة «المصرى» كانت لقبيلة، ربما لتدل على انتمائه لمصر.

إبراهيم العدل المرسى: المرجع السابق، ص ٣٩٦.

(٢) إبراهيم العدل المرسى: المرجع السابق، ص ٣٧٨.

(٣) أمين سامى: تقويم النيل، المرجع السابق، ص ١٢٦.

(٤) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٧٩.

– إن شخصية سعيد كانت متقلبة، وعدم تدبيره للأمور[1].

فلقد بدأ تمرد العربان بالوجه القبلى كما تذكر الوثائق فى شهر رمضان عام ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م، حيث امتنع بعضهم عن تنفيذ أوامر سعيد باشا، بل قاموا بأعمال السلب والنهب، وقد بلغ هذا التمرد ذروته فى شهر شوال من نفس العام[2].

وعندما قامت قبائل العربان فى الوجه القبلى بالتمرد، انتشر التمرد كذلك فى الوجه البحرى، وكانت قبيلتا الهنادى والجوازى قد تعاونتا مع عمر المصرى فى التمرد ضد سياسة سعيد باشا[3].

كما قام هؤلاء المتمردون بإبلاغ العربان الآخرين للاتحاد معهم، حيث أرسل المدير العام بأسيوط يقول: «إنه وصله خبر من محمد على باشا مدير أسيوط بأن الشقى عمر المصرى قادم إلى جهة أسيوط، وقد اتحد بالقبائل القاطنة فى المديرية، وينهبون كل ما يصادفونه فى طريقهم. ولذلك صدرت الأوامر إلى مدير أسيوط بالعمل على منع دخول الأشقياء إلى هذه المدينة واستكشاف مواقع العربان[4].

كما قام سعيد باشا بإصدار أوامره لسد الطرق على أشقياء العربان بجهة الواحات ومحاولة التضييق عليهم، كما أعلن أن كل من أحضر عمر المصرى حيا أو ميتا يأخذ أبعاديته وأبنيته إنعاما، كما أصدر أوامره إلى عربان أولاد على للتعاون فى قتال هؤلاء الأشقياء[5].

ويتضح أن عملية سد المنافذ أمام العربان المتمردين لم تأت بثمارها، حيث استطاعت بعض فرق عربان الجوازى مع عربان عمر المصرى شيخهم الانتقال من مكانهم الأصلى والهروب إلى الصحراء مما جعل سعيد باشا يشدد على الطرق المحتمل فرارهم منها[6].

أما بالنسبة للأهالى وموقفهم من هذا التمرد، فقد انقسموا إلى فريقين، الفريق الأول تعاون مع السلطات من أجل القضاء على هؤلاء المتمردين، وقد استخدم سعيد باشا معهم

(١) إبراهيم العدل المرسى: المرجع السابق، ص ٣٨١.

(٢) نفسه، ص ٤٠٤.

(٣) وائل بيومى: المرجع السابق، ص ٨٧ – ٨٨.

(٤) إبراهيم العدل المرسى: المرجع السابق، ص ٤٠٥ – ٤٠٦.

(٥) أمين سامى: تقويم النيل، المرجع السابق، ص ١٢٢.

(٦) إبراهيم العدل المرسى: المرجع السابق، ص ٤٠٨.

عدة أساليب لتشجيعهم على مساعدته، منها إعطاء مكافآت مالية لمن يرشد عن العربان المتمردين نظير علاقات بينهم أو مقابل مالى[1].

وعندما ازدادت أعمال السلب والنهب من جانب العربان اضطر سعيد إلى البطش بهم عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م وقتل الكثير منهم بحد السيف ومقذوفات نيران المدافع والبنادق والشنق والخازوق، وفر من نجا منهم إلى الصحراء الغربية، وصودرت ممتلكاتهم للسلطات.

ومن القبائل التى صودرت أطيانها قبيلة الهنادى وخاصة عرب الجوازى، حيث صودرت أبعادياتهم ومن بينها أبعادية عمر المصرى (قائد التمرد)، وتم مصادرتها لحساب الميرى عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م، وقام سعيد بتوزيع بعضها على من دخل فى طاعة السلطة من شيوخ القبائل الآخرين[2].

ولقد كان لعملية مطاردة العربان أثرها على العربان المتمردين، حتى فى قبيلة الجوازى المتزعمة هذا التمرد، حيث نجد عبد الرحمن وابن أدهس عقيلة ومحمد عبد النبى أخا عمر المصرى، ومحمد على من مشايخ عربان الجوازى جاءوا من الفشن والمنيا إلى بنى سويف يريدون تقبيل الأعتاب الكريمة، ووقعوا على التعهد الخاص الماثل للتعهد الذى وقعه مشايخ الحرابى والبراعصة، كما تعهدوا بطاعة الحكومة وجمع الأسلحة، كما نجد بعض جماعات من قبيلة الرماح المتمردة طلبت العفو وأعلنت استعدادها لأخذ تذاكر الإقامة، وقاموا بجمع أسلحة مختلفة وأرسلوها إلى مخازن بنى سويف[3].

وبرغم ما فعله العربان فقد منح سعيد بعض القبائل الأمان، ولكن كانت تعليماته للمديرين بضرورة القبض على أشقياء العربان الذين يدخلون المديرية متظاهرين بالطاعة والخضوع وإرسالهم إلى القلعة السعيدية، كما أن هناك بعض القبائل لم تنل عفو سعيد وإنما أصر على طردهم من البلاد مثل الحرابى، فأصدر إلى مديرية الجيزة بتاريخ ٥ إبريل عام ١٨٥٧م أمرا بطردهم وإعطائهم مهلة عشرة أيام ليتركوا البلاد أينما شاءوا وإلا فسوف يستخدم القوة فى طردهم، والسبب فى ذلك أن هذه القبيلة كانت دائمة التمرد واعتاد أفرادها على السلب والنهب وتهديد أمن الريف[4].

---

(١) إبراهيم العدل المرسى: المرجع السابق، ص ص ٤٦٣، ٤٦٦.

(٢) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٧٩ – ٢٨٠.

(٣) إبراهيم العدل المرسى: المرجع السابق، ص ٤١٤ – ٤١٥.

(٤) على شلبى: المرجع السابق، ص ص ٢٧٨، ٢٨١.

وكان من بين القبائل التى التمست العفو عنها واسترداد ما صودر من أراضيها قبيلة الهنادى وخاصة آل الطحاوى، حيث استردوا عام ١٨٥٨م أراضى مساحتها ٤٥٠٠ فدان من أطيان القليوبية التى كانت قد تمت مصادرتها فى عام ١٨٥٤م[١].

ويمكن القول بأن العربان الخارجين عن الطاعة فى عهد سعيد باشا قد كسرت شوكتهم، وذلك نتيجة لحملاته العسكرية ضدهم، حتى إن بعض القبائل فى عهده قد ألفت حياة الاستقرار[٢].

كما نجد أن الشدة التى اتبعها معهم، ربما كانت أحد الأسباب القوية التى جعلت القبائل تخلد للهدوء وتؤثر التوطن والاستقرار فى عهد سلفيه حتى أصبح توطنهم واستقرارهم حقيقة ملموسة فى نهاية القرن التاسع عشر[٣].

رابعا - فى عهد إسماعيل:

وفى بداية عهد إسماعيل، وعقب التمرد الذى قامت به بعض قبائل البدو ومن بينهم بدو الهنادى بقيادة عمر المصرى فى عهد سعيد وصودرت أطيانهم نتيجة لذلك صدر أمر عال فى ١٠ نوفمبر عام ١٨٦٣م برد أطيانهم ونخيلهم وإعطائهم بدلها إذا كان قد تم التصرف فيها، والذين ليس لديهم أطيان يعطى لهم أطيان[٤].

ولكن إسماعيل اشترط عليهم ألا يعودوا إلى أعمال التمرد ويلتزموا بالطاعة والانقياد للحكومة من أجل توطينهم واستقرارهم.

«بحيث يكونوا قايمين وملتزمين حسن الطاعة والانقياد للحكومة ويجتنبوا ويجازوا ما يخالف حميد المساعى ويغاير مقام الإنسانية، ولا يعودوا إلى ما كانوا مألوفين عليه أشقياهم من المخالفة والسلب والنهب»[٥].

كما تقدم ولد من أولاد عمر المصرى بالتماس إلى الخديوى إسماعيل يطلب فيه العفو عن والده، وقبل إسماعيل التماسه ولكن بشرط أن يسلك مسلك الاستقامة.

---

(١) إبراهيم العدل المرسى: المرجع السابق، ص ٤٧٦.

(٢) وائل بيومى: المرجع السابق، ص ٨٩.

(٣) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٨١.

(٤) على بركات: المرجع السابق، ص ٢٦٤.

(٥) أمين سامى: تقويم النيل، المجلد الثانى، جـ ٣، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، ص ٥٢٢.

ويتضح من ذلك أن الدولة أصبحت تضع مزيدا من التقنين لأوضاع العربان، واستمرار منحهم الأراضى[1].

وعلى الرغم من ذلك فقد استمر العربان فى ارتكاب أعمال السلب والنهب والقتل، فأصدر إسماعيل أمرا إلى مفتش الوجه البحرى عام ١٨٦٥م بتحديد ثلاثين يوما لكل مشايخ البلاد والعربان بحصر كافة من يكون بجهتهم من ذوى البغى والفساد وتقديمهم للمديريات، ومن يظهر عنده بعد ذلك هذه الأوصاف يكون مستحق الجزاء[2].

وبرغم مما فعله إسماعيل من أجل توطين العربان واستقرارهم، فإننا نجد أنه مازال هناك البعض من العربان يعترضون على قرارات السلطة ويتوقفون عن دفع الأموال المقررة عليهم، مما دفع السلطات لحصر كامل لجميع ممتلكاتهم لتسديد المستحق عليهم.

«وذلك بشأن توقف مذكورين عربان عن تعداد مواشيهم ودفع عوايدهم ولهم زروعات، وقرارات مجلس شورى النواب وأمر سعادة ناظر المالية تقتضى إجراء حصر كامل للمواشى المختصين بالزراعة وتسديد عوايدهم»[3].

كما توقف الطحاوية عن سداد المبالغ المطلوبة منهم لجفلك القطاوية عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م ومطلوب تسديد ما عليهم للخزينة[4].

وعلى الرغم من ذلك ومهما تكن العلاقة بين سلطات الدولة والعربان، فإن سياسة التوطين فى عهد إسماعيل قد خطت خطوات كبيرة إلى الأمام، وما حدث فى عهد سعيد من قتال وتشتيت قد أثمر ثماره فى عهد إسماعيل وألف الكثير منهم حياة الاستقرار[5].

وكان القصد من إعطاء الأطيان إلى العربان هو استقامتهم وتآلفهم مع الأهالى، وعندما ينتفعون من الزراعة وتوجد عندهم المواشى فلابد أن يقوموا باستصلاح الأراضى من تلقاء أنفسهم[6].

---

(١) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٨٢.

(٢) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٨٥.

(٣) دار الوثائق القومية: ل/ ١٥/ ٦٤/ ٢، تابع مال الوارد من مديرية الشرقية عموم، وثيقة رقم ٦٢، ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، ص ٢٢.

(٤) دار الوثائق القومية: صادر مأمورية العربان بالوجه البحرى، ل/ ١٥/ ٧٨/ ١، وثيقة رقم ٢٢٤ بتاريخ ١٢ جمادى الآخرة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، ص ٨٦.

(٥) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٨٦.

(٦) دار الوثائق القومية: ديوان المالية، صادر مأمورية توطن العربان، سجل نمرة ٩٨، نمرة عموم ١، بتاريخ ١٧ ربيع ثانى ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م.

كما أمر إسماعيل بتشكيل جمعية من شيوخ القبائل ومندوبين من طرف الحكومة لوضع لائحة عرفت بلائحة معاملة العربان، وتضم هذه اللائحة خمسة عشر بندا وخاتمة، وأهم ما جاء فيها، أن العربان معافون من الجهادية والأشغال العامة مع إعطائهم أطيانا ليعيشوا منها نظير تركهم سكن الخيوش[1].

كما عمل إسماعيل على تشكيل مأمورية للعربان للنظر فى الأمور المتعلقة فيما بين بعضهم وبعض أو بينهم وبين الأهالى[2].

وقد كان محل هذه المديرية هو مجلس الزراعة بالزقازيق، وكان بها موظفون يتقاضون مرتبات عن ذلك بما فيهم المأمور، وقد بلغت ماهياتهم عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م ٢١ كيسة وكسور بما فيهم ماهية المأمور[3].

خامسا - فى عهد الخديوى توفيق:

أما فى عهد الخديوى توفيق، فعلى الرغم من وصول معظم العربان إلى حياة الاستقرار وسكن البيوت بدل من سكن الخيش، كما استطاع الكثيرون منهم دفع الأموال المقررة على أراضيهم، فإن هذا لم يكن حال جميع العربان، بل ظل البعض منهم لا يألف حياة الاستقرار[4].

وعندما رأى مجلس النواب أن البدو أصبحوا يكونون طبقة من الملاك الزراعيين مثلهم مثل الفلاحين الملاك، وجد أنه يجب أن يعاملوا بالمثل، ومعنى ذلك سحب الامتيازات التى تمتعوا بها من قبل، وهنا ظهر تمردهم ورفضهم لذلك، وعقدوا اجتماعا فى عام ١٨٨٢م لمشايخ الشرقية والغربية والبحيرة والفيوم والوجه القبلى فى طنطا وقرروا بأنهم لن يسمحوا لمجلس النواب بالتدخل فى شئونهم، وأنهم متمسكون بامتيازاتهم.

وأحست الثورة بخطورة ذلك، فأرسلت حكومتها ألفين من الجنود نصفهم إلى الزقازيق والآخر إلى البحيرة للقضاء على تلك الحركة[5].

---

(١) إبراهيم العدل المرسى: المرجع السابق، ص ٤٧٨.

(٢) دار الوثائق القومية: صادر مأمورية العربان بالوجه البحرى، ل/ ١٥/ ٧٨/ ١، وثيقة رقم ٢، ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م.

(٣) دار الوثائق القومية: أدراج الدار، درج رقم ٢٧٨، دفتر رقم ١٩٣٠، محفظة أوامر، أمر كريم من رأس التين إلى الداخلية، وثيقة رقم ١٤٦، ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، ص ١٣٩.

(٤) وائل بيومى: المرجع السابق، ص ٩٣.

(٥) لطيفة محمد سالم: القوى الاجتماعية فى الثورة العرابية، جامعة الزقازيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م، ص ٤٥١.

كمـا تعـدوا على موظفى الحكومة عندما كانوا يقومون بجمـع الأنفار من العربان للقيام ببعض الأعمال الخاصة بالحكومة، مما يؤكد تمسكهم بامتيازاتهم مهما كلفهم ذلك.

فقـد قام أحـد عربان قبيلة الهنـادى بالتعدى على أحد موظفـى الحكومة وهو صالح عبد الله وكيل شـياخة عراكى سـعد بطنطا وعطلوه عن جمع الأنفار المطلوبة من شـياخة عراكى سعد شيخ عربان البهجة والهنادى[1].

كما اسـتغل العربان حالة الفوضى التى سـادت البلاد فى أثناء الثورة العرابية وامتنعوا عـن دفع الأموال المقررة على أراضيهم، بل واسـتغلال أهـالى البلاد وتحصيل أموال منهم بدعوى أنهم متوجهون للجيش، فكتب أحمد عرابى إلى مدير بنى سـويف بإجبارهم على سداد الأموال ووضع من يعتدى منهم على الأهالى فى السجون[2].

وقد قامت الحكومة بإصدار أوامرها فى ٣١ مايو عام ١٨٨٥م بشـأن معاملة الأشـقياء، وألزمت مشـايخ القبائل بتسليم الأشـقياء إلى المديرية، وفى حالة عدم ضبط هؤلاء الأشقياء يسلم شيخ القبيلة أحد أولاده أو أقاربه إلى الحكومة كرهينة لحين ضبط الأشقياء[3].

وفى ٢٠ سبتمبر عام ١٨٨٨م صدر قرار مجلس النظار بخصوص بعض عربان العبابدة[4] الذيـن انضمـوا إلى الثورة المهدية فى السـودان، بمصادرة أراضيهـم وإعطائها للمهاجرين الوافدين من السودان[5].

وبذلك نجد أن السلطات كانت دائما بالمرصاد لمن يقوم بمثل هذه الحركات من البدو.

مدى نجاح السلطات فى استقرار البدو وتوطينهم:

مما لاشك فيه أنه كان للسلطات دور كبير فى إخضاع هؤلاء البدو وإبعادهم عن حركات التمرد، بالإضافة إلى عوامل طبيعية أخرى ساعدت فى توطينهم واستقرارهم.

ولعل من أهم الأسـباب التى سـاهمت فى ذلك، كان إقرار حقوق الملكية فى مصر قبل غيرها من الدول وهو دافع مهم على الاستيطان وكذلك تطور الزراعة إلى جانب إدخال نظام

(١) دار الوثائق القومية: محافظ الثورة العرابية، محفظة رقم ٢، التلغرافات، وثيقة رقم ٤٧٤، ٩ أغسطس ١٨٨٢م.

(٢) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٨٨.

(٣) وائل بيومى: المرجع السابق، ص ٩٤ – ٩٥.

(٤) جرجس حنين: الأطيان والضرائب فى القطر المصرى، ط ١، القاهرة، ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، ص ١٩٩.

(٥) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٨٩.

الرى والاهتمام بالمحاصيل النقدية، وكذلك تطور وسائل النقل بالسكك الحديدية، وكذلك عن طريق النيل، كما كانت الحكومة المركزية القوية فى عهد محمد على من أهم الأسباب التى عجلت بتوطين البدو فى نهاية القرن التاسع عشر[1].

كما كانت هناك عوامل ساعدت على هذا الاستقرار، وذلك أن مصر من الناحية الجغرافية والاقتصادية كانت مهيأة لأن تقوم بها حكومة مركزية قوية، كما كان لاتساع الرقعة الزراعية أثر كبير، فقد حولت الصحراء إلى أرض تبذر بالبذور مما تسبب ذلك فى إغلاق المسالك والفجوات التى كان يتسلل منها البدو إلى المنطقة الآهلة بالسكان[2].

وعلى كل حال، فلم يكد القرن التاسع عشر يقترب من نهايته حتى كان معظم البدو قد استقروا وتوطنوا[3].

الخاتمة:

يتضح لنا من خلال هذه الدراسة الموجزة أن العربان كانوا دائما ما ينزعون إلى الرفض والاحتجاج، وذلك يرجع إلى طبيعة الحياة عندهم وتمسكهم بعاداتهم وتقاليدهم التى تجعل من شيخ القبيلة رمزا للنظم والقوانين عندهم، رافضين أى تدخل آخر وهذا بدوره ما كان يعرضهم للاصطدام بالسلطات والقوانين المتبعة.

ولكى تبعدهم السلطات عن مثل هذه الاحتجاجات والتمردات حاولت معهم مرة بالشدة ومرة باللين، وهذه السياسات كان لها دور بارز فى محاولة إخضاع هؤلاء البدو، وقد اتبعها محمد على وكانت ناجحة إلى حد كبير.

كما حاول خلفاء محمد على معهم إلى حد كبير من أجل تطبيق هذه السياسة، ولكننا نجد أن أحد خلفائه وهو سعيد قد استعمل معهم الشدة بدرجة كبيرة من أجل إخضاعهم، مما تسبب ذلك فى صدام كاد يقتل فيه سعيد باشا نفسه، وهذا يدل على مدى مقاومة هؤلاء البدو لمن يحاول المساس بنظمهم والتدخل فى شئون حياتهم.

ولكننا نجد بعد ذلك من تغير أسلوب الحياة وتطور وسائل النقل ودخول الكثير من المحاصيل النقدية التى تدر عائدا كثيرا على الفرد، وكذلك متطلبات الحياة المختلفة، كل

---

(١) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٩٠ – ٢٩١.

(٢) جـ. بيير: دراسات فى التاريخ الاجتماعى لمصر الحديثة، ط ١، ترجمة عبد الخالق لاشين، مكتبة الحرية، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ص ٣٥، ٣٧.

(٣) على شلبى: المرجع السابق، ص ١٧٢.

ذلك جعل البدو يسعون إلى الحصول على مسايرة باقى أفراد المجتمع وتغيير نظم حياتهم، وذلك بطلب الحصول على الأراضى الزراعية والاستفادة منها.

وعلـــى الرغم من اتجاه معظم أفراد البـــدو إلى التوطن والعمل بالزراعة والبعد عن حياة التنقل والترحال، فإننا نجد أن هناك فئة قليلة من هؤلاء البدو رفضت الاســـتقرار والتوطن وبقيت على حالها من تنقل وترحال.

❑❑❑